مجلة جامعة الخليل للبحوث
المجلد (5)، العدد (2)، ص (155-173)، 2010



الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

السياسة الإسرائيلية تجاه أفريقيا (جنوب الصحراء) بعد الحرب الباردة

د. عبد الناصر سرور*
كلية الآداب -جامعة الأقصى- غزة- فلسطين

الملخـــص:

تتناول هذه الدراسة الإطار الشامل للسياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه أفريقيا-جنوب الصحراء- بعد مرحلة الحرب الباردة، على النحو الذي يتم فيه تسليط الضوء على المصالح الرئيسة ومقاصدها، وآليات تنفيذها (الأدوات والوسائل)، وأخيراً، تحليل مدى نجاح إسرائيل في ذلك، وتقييمه. ولقد استندت الدراسة على فرضية رئيسة مفادها، أن السياسة الإسرائيلية تجاه أفريقيا نجحت في تحقيق أهدافها، نتيجة ارتكازها على بيئة داخلية فاعلة ودافعة، واستثمارها؛ لتحولات وتغيرات إقليمية ودولية مناسبة لها. هذا وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي.

Abstract :

This study discusses the general framework which covers the foreign Israeli policy towards Africa in general and the Southern Sahara in particular after the cold war. It focuses on the objectives and the techniques of carrying out this policy. The paper will try to evaluate and investigate to what extent Israel has succeeded in achieving its aims. The hypothesis of the study states that the Israeli policy towards Africa is thriving because it depends on an effective, supportive internal environment which has been invested by Israel in terms of favorable regional and international changes. Moreover, the study depended mainly on the inductive analytical method.

---

* بريد الباحث الإلكتروني : sroor_moussa@yahoo.com

المقدمة:

منذ انتهاء مرحلة الحرب الباردة تمكنت إسرائيل من تكثيف علاقاتها بأفريقيا في المجالات العسكرية و الأمنية والسياسية و الاقتصادية ، و كانت لهذه التوجهات محددات و مرتكزات هامة ، تهدف لتوسيع النفوذ و تعظيم الأهداف بأقل تكلفة و بأسرع فترة ممكنة .

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل الإطار الشامل للسياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه أفريقيا (جنوب الصحراء)، على النحو الذي يتأتى معه فهم الأهداف الرئيسة و مقاصدها النهائية في أفريقيا من جهة ، واستعراض الوسائل و الأساليب (آليات التنفيذ) التي استخدمتها في تحقيق غاياتها من جهة أخرى. بينما تكمن مشكلة الدراسة في تفسير و تحليل مسببات التحول الهام والعودة السريعة في العلاقات الإسرائيلية – الإفريقية منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي.

و تسعى الدراسة للإجابة عن ثلاث أسئلة رئيسة، هي :

- ما مصالح إسرائيل في أفريقيا ؟
- ما آليات التنفيذ التي استخدمتها ؟
- إلى أي مدى نجحت إسرائيل في سياستها الأفريقية ؟

وسوف تستند الدراسة على عدة فرضيات ، هي :

1. إن فرض إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط أدى إلى خلق نظام إقليمي صراعي، من هنا فإن تفاعلات السياسة الخارجية الإسرائيلية ارتبطت دوماً بهذه الحالة الصراعية .
2. ارتباط كل من إسرائيل و العرب و الأفارقة بمتغيرات النظام الدولي ، حيث تأثرت العلاقات بين هذه المجموعات بإرادة و توجهات النظام الدولي .
3. إن التغير الهيكلي الذي شهده النظام الدولي منذ انتهاء مرحلة الباردة انعكس سلباً في غير صالح العرب ، وانعكس إيجاباً لصالح إسرائيل التي بدأت تعيد ترتيب أولويات حركتها الخارجية بما يحقق لها الهيمنة الإقليمية .

وعليه فسوف تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي ، كونه يتناول العوامل الرئيسية التي تتحكم في صياغة السياسة الإسرائيلية ويضاف إلى ذلك محاولة رصد أنماط السلوك الإسرائيلي من خلال ملاحظة مدى تكراره ، مما يساعد على التنبؤ بالاتجاهات المحتملة لهذا السلوك في المستقبل مع التركيز أيضاً على الأهداف وأدوات التنفيذ لهذا السلوك.

و تنقسم الدراسة بعد المقدمة إلى أربعة محاور وخاتمة:

المحور الأول، نشأة وتطور العلاقات الإسرائيلية – الأفريقية 1990-1984 (خلفية تاريخية) .

المحور الثاني، المصالح الإسرائيلية في القارة الأفريقية .

المحور الثالث، آليات تنفيذ السياسة الإسرائيلية .

المحور الرابع، تقييم عام لسياسة إسرائيل تجاه أفريقيا .

المحور الأول: نشأة العلاقات الإسرائيلية– الأفريقية و تطورها -1948 1990 .

تطورت العلاقات الإسرائيلية – الأفريقية في سياق من التغير ما بين التقارب تارة ، وانقطاع العلاقات تارة ثانية ، و الانفراج و التقارب الشديد تارة ثالثة ، و ذلك بفعل تأثير التقلبات التي أصابت النظامين الإقليمي والدولي خلال مرحلة الحرب الباردة، و في هذا المحور سيتم استعراض تطور العلاقات الثنائية – بقدر من الاختصار – في ضوء ثلاث مراحل مفصلية ، هي :

1. مرحلة 1948-1967 : (مرحلة الاعتراف التدريجي)

كان قيام دولة إسرائيل عام (1948) نقطة الانطلاق الرسمية للعلاقات الإسرائيلية الأفريقية. وتعتبر ليبيريا أكثر الدول الأفريقية تأييداً لقيام إسرائيل، حيث بادرت منذ البداية بالموافقة على مشروع التقسيم عام (1947) الصادر من الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، فضلاً على أنها أول دولة أفريقية عقدت مع إسرائيل معاهدة صداقة وتعاون ، وتبادلت معها الزيارات [1] . بينما اعتبرت أثيوبيا الدولة الثانية التي أقامت علاقاتها مع إسرائيل ، وذلك للأسباب التالية: [2]

1. لجوء الإمبراطور هيلاسيلاسى إلى القدس عام (1936) عندما قامت ايطاليا باحتلال إثيوبيا ، واستمر فيها ما يقارب (6) سنوات .

2. مساعدة إسرائيل لأثيوبيا من تهديدات عبد الناصر، وذلك بعد انعقاد مؤتمر باندونج عام (1955)، ودعمها لجهود هيلاسيلاسي الساعية؛ لاستعادة الصومال الايطالي واستقلالها .

3. قيام إسرائيل بالمساعدة في إخماد التمرد الذي قام به مجموعة من العسكريين في أثيوبيا خلال زيارة هيلاسيلاسى إلى البرازيل في ديسمبر(كانون أول) عام 1960، وعلى إثر ذلك تطورت العلاقات السياسية، والاقتصادية و وافق هيلاسيلاسى بفتح قنصلية لإسرائيل في أديس أبابا ، وفتح قنصلية لإثيوبيا في القدس عام (1955) .

أما فيما يتعلق بعلاقاتها المتينة و الإستراتيجية مع جمهورية جنوب أفريقيا ، فتوثقت نتيجة سمات التشابه بين دولة إسرائيل و دولة جنوب أفريقيا، فكلتاهما دولتان استيطانيتان، وكلتاهما مثلتا موقعاً متميزاً في الإستراتيجية الكونية الغربية إبان حالة الاستقطاب الدولي؛ وكونهما مركزين دفاعين متقدمين للغرب في إطارهما الإقليمي . [3]

ولقد بدأت العلاقات السياسية بين الدولتين فور قيام دولة إسرائيل عام (1948)، وأهم ملامحها تأييد جنوب أفريقيا لإسرائيل في الحروب العربية الإسرائيلية، وظهور عدة اتفاقيات على صياغة أسس التحالف الشامل بين البلدين في جميع المجالات وتأسيس جمعيات الصداقة بين البلدين.

ونجحت إسرائيل في فتح سفارتها في (أكرا) عاصمة غانا عام (1957)، ثم تلا ذلك فتح سفارتين أخريين في كل من (منروفيا) و(كوناكرى) في العام ذاته ، بغية الحصول على مساعدات عسكرية وخبرات تقنية من إسرائيل.[4]

وقد شهدت العلاقات الإسرائيلية – الأفريقية تبادلاً للزيارات الرسمية ،حيث قامت وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك (جولدا مائير) في الفترة ما بين (1958-1963) بزيارة العديد من الدول الأفريقية منها ، السنغال ونيجيريا وغانا وليبيريا .[5]

كما قام الرئيس الإسرائيلي إسحق بن تسفي عام (1962) بزيارة خمس دول افريقية ، بينما قام رئيس الوزراء ليفى أشكول عام 1966 بزيارة زائير وأوغندا وليبيريا والسنغال ومدغشقر، في المقابل قام العديد من زعماء أفريقيا بزيارات لإسرائيل، وبحلول نهاية عام 1967 أصبح لإسرائيل (32)بعثة دبلوماسية في أفريقيا. [6]

إجمالاً، إن مرحلة (1948-1967) شهدت تطوراً تدريجياً في العلاقات الافرو- إسرائيلية و بوتيرة تصاعدية من خلال تزايد الاعترافات بدولة إسرائيل وتبادل الزيارات الرسمية بين الجانبين، وما تخللها من تقديم مساعدات إسرائيلية في المجال العسكري والتقني .

2. مرحلة 1977-1967(مرحلة تراجع العلاقات الثنائية)

بعد العدوان الإسرائيلي عام (1967) بدأت الأقطار الأفريقية تعيد النظر بهذه العلاقات، وخصوصاً أن هذا العدوان أثبت خطورة هذا الكيان، وما يمثله من مصدر تهديد وتوسع ، كما كشفت طبيعة الدور

الإسرائيلي الخطير في أفريقيا، خاصة في أنغولا وموزمبيق والكونغو، وتعاونه الخطير مع الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا من أجل مواجهة حركات التحرر الأفريقية، [7] ونتيجة لذلك فقد تبلور الموقف الأفريقي بقطع العلاقات مع إسرائيل [8]، وطالبها بالانسحاب الفوري من كافة الأراضي التي احتلتها خلال الحرب. كما دعمت الدول الأفريقية العرب في حرب عام (1973)، حيث قامت منظمة الوحدة الأفريقية في (21) نوفمبر (تشرين ثاني) عام (1973) بإصدار قرار دعت فيه جميع الدول الأعضاء في المنظمة إلى فرض حظر إقتصادي كامل على إسرائيل، ودعا البيان أيضاً إلى إقامة علاقات وثيقة للتعاون بين أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية والجامعة العربية، وقد أدى هذا الموقف إلى تراجع واضح في مستوى العلاقات الإسرائيلية – الأفريقية، وجاءت هذه الخطوة بهدف الحصول على المساعدات العربية ولاسيما من الدول النفطية. [9]

و في عام (1975) ، استطاعت الكتلة الأفرو – عربية أن تعرض على الجمعية العامة بالأمم المتحدة مشروع قرار تم إصداره يوم (10) نوفمبر (تشرين ثاني) عام (1975) اتهم الصهيونية بأنها نوع من العنصرية وكان لهذا القرار بالغ الأثر على إسرائيل، حيث اعتبرته هزيمة دبلوماسية قاسية لها على المستوى الدولي [10].

عموما، نجحت الحملة العربية الرامية إلى عزل إسرائيل ووصفها بالعنصرية، ومساوتها بالنظام العنصري في جنوب أفريقيا . واستغلت الحملة العربية السلوك الإسرائيلي الواضح في دعم الحركات الانفصالية في أفريقيا وخصوصاً في (بيافرا) في نيجيريا وجنوب السودان ، فضلا عن تأييدها لنظام التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا [11]

3- مرحلة -1977 1990 (مرحلة الانفراج وتسارع وتيرة العلاقات)

بعد تولى حزب الليكود مقاليد السلطة في إسرائيل عام 1977، رفعت الحكومة شعار «عائدون إليك يا أفريقيا»، فقد أوكل إلى ديفيد كمحي مهمة إجراء اتصالات مع الدول الأفريقية بهدف إفساح الفرصة أمام استئناف العلاقات لإعادة إسرائيل إلى القارة من الأبواب الرئيسة وليس الخلفية.

ولقد اعتبرت زيارة الرئيس السادات للقدس في نوفمبر (تشرين ثاني) عام (1977) نقطة تحول في التقارب الأفريقي –الإسرائيلي . فهذه الزيارة ساهمت في انفراج العلاقات الثنائية ، حيث شهد عقد الثمانينيات من القرن الماضي مرحلة إعادة بناء لهذه العلاقات ، لتبدأ مسيرة الخطوات العكسية في إعادة العلاقات وتوِّج ذلك من قبل زائير عام (1982)؛ لان رئيسها «موبوتو» كان بحاجة ماسة للمساعدات العسكرية الإسرائيلية، ولاسيما في ميدان تدريب الجيش وحرسه الجمهوري، وبلغت ذروتها خلال عامي (1986-1985) بعد زيارة «شمعون بيريز» إلي بعض الدول الأفريقية. [12]

وارتبطت زائير بمعاهدة عسكرية تنص على قيام إسرائيل بإعادة بناء الجيش الزائيري، وإيفاد مستشارين عسكريين إلى زائير؛ لتدريب سلاح البحرية . أما ليبيريا فقد أعادت علاقاتها بإسرائيل عام (1983) ، ثم لحقت بهما ساحل العاج والكاميرون وتوغو ثم كينيا عام (1988) وخصوصاً بعد اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالقرارين (242 ، 338).

لهذا يعدُّ نهاية عقد الثمانينيات بدأت بوادر الانفراج في العلاقات الإسرائيلية– الأفريقية، بحيث تمكنت إسرائيل منذ مطلع التسعينيات من تكثيف وتوثيق شبكة مصالحها المتنوعة في أفريقيا، وهذا ما سوف يتناوله المحور الثاني بالتحليل.

المحور الثاني: المصالح الإسرائيلية في أفريقيا.

1. المصالح السياسية:

يتمثل الهدف الأساسي من السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه أفريقيا في اكتساب عنصر الشرعية السياسية والاعتراف القانوني للدولة الصهيونية من الدول الأفريقية، و بالتالي تسعى إسرائيل بطرق شتى لإقامة علاقات دبلوماسية من أجل ترسيخ مفهوم الوجود الصهيوني كدولة ذات سيادة، وعضو في المجتمع الدولي . وبالفعل أكد تقرير الحكومة الإسرائيلية لعام 1999 الصادر عن وزارة الخارجية الإسرائيلية أنه أصبح لإسرائيل علاقات دبلوماسية مع 42 دولة افريقية. [13] وحتى عام 2005 بلغت 48 دولة افريقية. [14]

وحسب مصادر وزارة الخارجية الإسرائيلية، فقد تم تقسيم شعبة أفريقيا في الوزارة إلى قسمين: أفريقيا «1»، وتختص بدول شرق القارة وجنوبها. و أفريقيا «2» وتختص بدول وسط القارة الأفريقية وغربها. [15]

ومن جانب آخر ، تهدف إسرائيل إلى محاولة التأثير على السلوك التصويتي للدول الأفريقية بالأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى من اجل تأييد إسرائيل وتدعيم مركزها الدولي، حيث تنتبه إسرائيل إلى أهمية كتلة التصويت الأفريقية بالأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، فهي تشكل حوالي 31 – 32 % من إجمالي أصوات أعضاء منظمة الأمم المتحدة (16)، كما يساعد تغلغلها في القارة في عرض رؤيتها المتعلقة بنزاع الشرق الأوسط والمسألة الفلسطينية .

وكانت وزيرة الخارجية الإسرائيلية «تسيفى ليفنى» قد أقامت احتفالاً كبيراً في نهاية شهر مايو (أيار) من عام (2006) دعت فيه سفراء الدول الأفريقية لدى إسرائيل لحضور الاحتفال بمناسبة «يوم أفريقيا»، حيث تحتفل إسرائيل سنوياً بهذا اليوم؛ لتوطيد علاقاتها مع دول القارة. [17]، وقد تعرضت الوزيرة ليفنى خلال الحفل لأزمة (دارفور)، مدّعية أن إسرائيل لا تستطيع أن تقف فيها موقف المتفرج تجاه ما أسمته «معاناة الدارفوريين»، كما أعلنت لفني بتاريخ (24) مايو (أيار) عام (2007) أنّ حكومتها ستساعد في إيجاد حل للأزمة في إقليم دارفور، وجاءت هذه التصريحات خلال لقائها مع عدد من السفراء الأفارقة في تل أبيب، وأضافت: «إن إسرائيل لا تستطيع أن تقف متفرجة دون تقديم المساعدة الإنسانية» [18]، وأشارت إلى أن إسرائيل قد استقبلت (500) متدرب أفريقي في مختلف المجالات عام (2005)، وأن تل أبيب أرسلت عشرات الخبراء الإسرائيليين إلى الدول الأفريقية لتقديم المساعدات في المجالات الزراعية والتنموية والصحية والتعليمية [19].

2. المصالح الأمنية و الاستراتيجية :

تشمل الأهداف الإسرائيلية المتعلقة بمجالات الاستخبارات وصناعة الأسلحة والدفاع عن المصالح والمواقع الغربية، وبالتالي ضرب المصالح العربية و إضعاف نفوذ العرب في تلك القارة. إن الاهتمام الأمني لإسرائيل بالقارة الأفريقية يهدف إلى تحقيق بعض المصالح الإستراتيجية المتعلقة بتهديد الأمن القومي العربي بصفة عامة والأمن القومي المصري بصفة خاصة، وقد أولت إسرائيل اهتماماً خاصاً بتعزيز علاقاتها الثنائية والأمنية مع دول شرق أفريقيا، لاسيما إثيوبيا وارتريا و أوغندا و جيبوتي من أجل تحقيق ذلك الهدف. وقد هدفت إسرائيل من ذلك التحرك إلى منع تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية ومحاولتها السيطرة على باب المندب الذي تعتبره منفذاً حيوياً لتحركاتها تجاه أسيا وأفريقيا لضمان مصالحها الاقتصادية والتجارية. وعليه،

فإنّ تأمين مداخل البحر الأحمر المؤدية إلى إسرائيل من خلال وجودها في إثيوبيا المطلة على الساحل الشرقي الأفريقي، كما تتجه إسرائيل بالزحف نحو غرب أفريقيا لتشكل حزام طوق حول الدول العربية، وبالتالي تهدد العمق الإستراتيجي للمغرب العربي. [20]

وتمثل دول حوض النيل إحدى المصالح الأمنية الكبرى لإسرائيل وهى (إثيوبيا و كينيا و ارتريا و الكونغو) . بمعنى آخر، تسعى من خلاله إلى تهديد امن الدول العربية المعتمدة على نهر النيل (مصر و السودان تحديداً). وقد حرصت إسرائيل على تحقيق تلك الإستراتيجية منذ عقد الستينيات عندما قامت بتوقيع معاهدات مع كل من: «إثيوبيا، أوغندا، زائير، كينيا، رواندا، جمهورية أفريقيا الوسطى، وتشاد»، كما قامت بدعم الحركة الانفصالية في جنوب السودان «اناتيا».

وعليه، فان الحسابات العسكرية لدى الإسرائيليين تبقي ذات أولوية في العلاقات الأفرو- إسرائيلية، بحيث يصبح التعاون العسكري، وعمليات التسلح التي تقدمها للدول الأفريقية بمثابة حجر الزاوية في بنيان العلاقات المشتركة. ومن هذا المنطلق فإنّ إسرائيل تتغلغل بصورة غير رسمية عن طريق شركة خدمات أمنية هي «ليف– دان» التابعة للموساد. أما على مستوى النشاط الرسمي، فقد أفادت تقارير دبلوماسية غربية؛ أن أكثر من (2000) خبير أمني إسرائيلي ينشطون في (12) دولة افريقية بصفة مستشارين لرؤساء تلك الدول للشؤون الأمنية. [21]

وتؤكد التقارير أيضاً، أن الولايات المتحدة تتفهم التحرك الإسرائيلي على ذلك الصعيد وتشجعه، لأنه يصب في نهاية الأمر في مصلحة النفوذ الأمريكي- الإسرائيلي على حساب النفوذ الفرنسي -العربي[22]. ومن أجل فهم وتحليل طبيعة الدور الإسرائيلي الذي يصب في مصلحة النفوذ الأمريكي، ارتأى الباحث أهمية استعراض مكانة أفريقيا في التفكير الاستراتيجي الأمريكي، وخاصة في مجالي الأمن، ومحاربة الإرهاب. لعدة أسباب، أبرزها: [23]

- تنامي المشاعر المعادية للولايات المتحدة في كثير من المناطق الأفريقية ولاسيما منطقة القرن الأفريقي. و طبقاً لبعض المعلومات الاستخبارية الغربية، فإن الصومال أصبحت ملاذاً آمناً لبعض الجماعات والتنظيمات التي تضعها الولايات المتحدة على لائحة الإرهاب .
- أهمية بعض الدول مثل، السودان في إطار بناء التحالف الدولي الموالى للولايات المتحدة، لمحاربة «الإرهاب الدولي».
- تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في القارة الأفريقية مما يجعلها بيئة خصبة لنمو المشاعر المعادية للغرب ، ولذلك، تعد أفريقيا الحلقة الأضعف في سلسلة الإرهاب الدولي، فالحدود يسهل اختراقها ومؤسسات فرض النظام والقانون ضعيفة، والموارد الطبيعية وفيرة، ومناطق الصراع متعددة، والدولة الوطنية إما هشة أو ضعيفة، فكل تلك العوامل تجعل بعض الدول الأفريقية بيئة خصبة لبعض الجماعات والتنظيمات «الإرهابية».

لذا، تفردت إسرائيل بعلاقات عسكرية وأمنية قوية مع جمهورية جنوب أفريقيا، فبلغت نسبة صادرات الأسلحة الإسرائيلية لجنوب أفريقيا نسبة (35%) مما يستوردوه، وهناك تعاون نشط في مجال تبادل الخبرات والاستثمارات العسكرية وشركات تصنيع السلاح وخاصة في مجال تطوير السلاح النووي مقابل حصول إسرائيل على اليورانيوم، وقد تم رصد العديد من التجارب النووية المشتركة بين البلدين. [24]

تأسيساً على ما سبق، يمكن استعراض أهم أهداف

إسرائيل الاستخبارية تجاه القارة الأفريقية، منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، وهي:

- إيجاد قنوات التعاون وتبادل المعلومات بين الموساد و أجهزة الاستخبارات الأفريقية و إقامة مراكز اتصال و جمع المعلومات فيما يتعلق بنشاطات قوى التحرر الأفريقية و العربية. [25]
- القيام بالأعمال «القذرة» لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وتقديم الدعم العسكري لعملائها من منظمات، وأنظمة حكم ديكتاتورية لا ترغب الإدارة الأمريكية بمساعدتها بصورة علنية.
- المساهمة في زيادة وتيرة عدم الاستقرار السياسي، وتشجيع الحركات الانفصالية، وضرب التوجهات الوحدوية. [26]
- المساهمة في الجهود الرامية لإبقاء القارة الأفريقية ضمن مناطق النفوذ الأمريكي، وتامين خضوع مواردها و ثرواتها.
- إعاقة أية جهود لإحياء فكرة التضامن العربي– الأفريقي، وبالتالي حرمان العرب من أفريقيا كعمق استراتيجي واقتصادي وأمنى لصالحهم .

3. المصالح الاقتصادية:

تحتفظ أفريقيا بنحو (3%) من إجمالي احتياطي البترول في العالم ، و (5%) من احتياطي الغاز، ونحو ثلث احتياطي اليورانيوم، و(70%) من الفسفور، و55% من الذهب، و(87%) من الكروم، و(57%) من المنجنيز، و (42%) من الكوبالت «عنصر كيميائي»، فضلا عن ثراء القارة في مواردها الطبيعية الأوفر، مثل المياه و الغابات و الزراعة. [27]

لذا، فأن القارة الأفريقية– حسب المنظور الإسرائيلي– تتمتع بفرص هائلة لتنمية الاقتصاد الإسرائيلي، وهي سوق ضخم لاستيعاب الصادرات الإسرائيلية، كما ينظر الإسرائيليون إلى أن أقطار القارة الأفريقية متخلفة وقابلة لغزوها اقتصادياً واجتياح أسواقها واستثمار مواردها الطبيعية.

عموماً، تشمل الأهداف الإسرائيلية مجموعة القضايا المتعلقة بفتح الأسواق الأفريقية أمام المنتجات الإسرائيلية والاستثمارات والحصول على المواد الأولية وعناصر الطاقة، وبالتالي تحقيق ربط اقتصاديات بعض الدول الأفريقية برباط من التبعية للاقتصاد الإسرائيلي، وفي هذا المجال يمكن ملاحظة الأهداف الإسرائيلية الآتية: [28]

- فتح الأسواق الأفريقية أمام التكنولوجيا الإسرائيلية وخصوصاً، صناعات الأسلحة ، مما يتيح توفير إمكانيات أفضل لاستمرار تلك الصناعات وتطورها وخفض كلفة إنتاجها .
- الحصول على ما تحتاجه الصناعة الإسرائيلية من المواد الخام من أفريقيا، لاسيما المعادن النفيسة، والمعادن الإستراتيجية، مثل: اليورانيوم، خامات الذهب، النحاس، النفط، والماس.
- استغلال الفرص الاستثمارية، ولاسيما في مجالي التعدين والصناعة.
- وضع إستراتيجية محسوبة بعيدة المدى تسعى من خلالها إسرائيل إلى جعل الاقتصاد الأفريقي معتمداً عليها، وإفشال سياسة المقاطعة الأفريقية لإسرائيل وكسر الطوق الاقتصادي العربي في أفريقيا.

وقد نجحت إسرائيل خلال عقد التسعينيات في تحقيق أهدافها، فقد أشار الكتاب الرسمي الصادر عن وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية لعام (1999)أن حجم الصادرات الإسرائيلية لأفريقيا وصل إلى (478) مليون دولار، وتمثل (2.1%)من إجمالي الصادرات الإسرائيلية، في حين بلغت الواردات (355) مليون دولار وتمثل (1.3%) من إجمالي نسبة الواردات الإسرائيلية، وطبقا لتقارير وزارة

التجارة والصناعة الإسرائيلية، فقد وصل حجم الصادرات الإسرائيلية إلى بعض الدول الأفريقية (3.5) مليار دولار في عام (2002)، ومن أبرز هذه الدول، نيجيريا وكينيا وساحل العاج وأفريقيا الوسطى. أما بالنسبة للواردات الإسرائيلية من بعض الدول الأفريقية، فقد بلغت نحو (500) مليون دولار من العام نفسه. (29)

أما المعطيات الخاصة ببعض الصادرات الإسرائيلية -خصوصاً العسكرية منها- إلى بعض الدول الأفريقية الأخرى، وخاصة زائير وجنوب أفريقيا وتوجو، فإنها لا تظهر في التقارير الإسرائيلية إطلاقاً؛ وذلك لاعتبارات أمنية تخص الطرفين هذا من جانب، وخوفاً من ازدياد توتر علاقات هذه الدول بالدول العربية من جانب آخر.

كما استحوذت الشركات الإسرائيلية على عقود تقدر قيمتها بأكثر من (4) مليار دولار، لإقامة المباني، ومد شبكات الطرق والجسور، وحفر الإنفاق، وإنشاء الموانئ، وقد توافد في إطار هذا النشاط، آلاف الخبراء والمستشارين الإسرائيليين على الدول الأفريقية، مقابل حصول تلك الدول على كميات كبيرة من صادرات الأسلحة الإسرائيلية (طائرات النقل والتدريب والطائرات المقاتلة والدبابات وأجهزة الاتصال والصواريخ)، والتي احتلت المرتبة الثانية بعد دول أمريكيا اللاتينية.

ومن الأهمية بمكان، فإن العلاقات الإسرائيلية مع جمهورية جنوب أفريقيا كانت الأكثر بروزاً ، حيث شهدت العلاقات الاقتصادية بين البلدين تطورات على مستوى الصادرات والواردات، وغرف التجارة، والاستثمارات المتبادلة، وقد فتح ذلك التعاون لجمهورية جنوب أفريقيا باباً خلفياً للسوق الأوروبية المشتركة والسوق الأمريكية. مما أتاح لها الحصول على المعدات الالكترونية المتقدمة، وفي المقابل وفر لإسرائيل مصدراً جيداً لاستيراد خامات الماس والفحم واليورانيوم. (30)

4. هجرة يهود أفريقيا:

كانت سياسة الهجرة اليهودية لإسرائيل، التي أولتها الحكومات الإسرائيلية المتتالية اهتماما ً ملحوظاً، وأحد أهم الأسباب التي أدت إلي تعاظم النسبة السكانية، وتحتضن القارة الأفريقية عدداً من الجاليات اليهودية ولاسيما في أثيوبيا (الفلاشا) وجنوب أفريقيا وزيمبابوي وكينيا، وبالتالي تستغل إسرائيل وجود تلك الجاليات من أجل معالجة الضغط الديموغرافي في إسرائيل، وزيادة النسبة السكانية هذا من جانب، وتوظيفهم لتحقيق مصالحها واستخدامهم في التأثير على الأنظمة الأفريقية في المجالات المختلفة، من جانب آخر. ويقدر إجمالي يهود الفلاشا الذين نقلوا إلى إسرائيل بمقتضى قانون العودة بنحو ستين ألفاً خلال الفترة (1984-1991)ضمن ما يسمى بعمليتي موسى وسليمان. (31)

وفي بداية سنة (2001) قدر عدد اليهود الباقين في أفريقيا بحوالي (88) ألف نسمة، (90%)منهم في جمهورية جنوب أفريقيا. (32)

المحور الثالث : آليات تنفيذ السياسة الإسرائيلية في أفريقيا

يمكن إجمال أهم الأدوات التي ارتكزت عليها إسرائيل لتنفيذ أهدافها ومصالحها في أفريقيا على النحو التالي:

1. الأداة الاقتصادية: (المساعدات الفنية)

تستغل إسرائيل حداثة استقلال بعض الدول الأفريقية وحاجتها لمزيد من المساعدات المالية والعلمية حيث تمد تلك الدول بالخبرة الفنية والعلمية وتزويدها بالتكنولوجيا المتطورة التي تفتقدها القارة الأفريقية، وتقدم إسرائيل هذه الخبرة بموجب اتفاقيات تسمى باتفاقيات التعاون الفني.

إن تكريس فكرة التفوق التكنولوجي والعلمي لإسرائيل، وكشف مدى العجز العربي عن تقديم المعونات الفنية وإمداد القارة الأفريقية باحتياجاتها التقنية هو أحد أساليب إسرائيل في التغلغل داخل أفريقيا، فهي تخطط لتنفيذ المشاريع والاتفاقيات مع الدول الأفريقية وتعد دورات تدريبية خاصة للأفارقة في إسرائيل، وتقديم المنح الدراسية للطلاب الأفارقة، وتنظيم الدورات للقيادات الشعبية، والعمالية من أجل تعزيز العلاقات بين المنظمات العمالية اليهودية، والإسرائيلية والمنظمات الأفريقية، كما يتواجد خبراء إسرائيليون لدى دول أحواض الأنهار بهدف تقديم خبراتهم في مشروعات الري والأمن الغذائي وتطهير التربة والري بالتنقيط. [33] ونقل المهارات التقنية من خلال برامج تدريبية معينة، وتزويد الدول الأفريقية بخبراء إسرائيليين وإنشاء شركات مشتركة ونقل الخبرات والمهارات الإدارية، وتشير الإحصاءات التي نشرها مركز التعاون الدولي التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية أن عدد الأفارقة الذين تلقوا تدريبهم في إسرائيل نحو(24636) أفريقيا منذ قيام دولة إسرائيل وحتى عام (2007). [34]

ولقد جاء على لسان «يهوذا باز» مدير المعهد الآسيوي الأفريقي التابع للهستدروت، أن هنالك ثلاثة رؤساء حكومة وأربعين وزيراً، ومائة وخمسين من أعضاء البرلمانات، ومائة محاضر، وأربعمائة من مدراء التعاونيات وثلاث مائة وخمسين من رؤساء النقابات العمالية ، وسبعة وثلاثين من أمناء الاتحادات الثقافية في أفريقيا ممن درسوا في إسرائيل وأصبحوا من أكثر المؤيدين لها. [35]

وقد قامت إسرائيل بإعادة تقويم أداء المراكز التدريبية الخاصة بأفريقيا، ومنها :

- مجموعة «سوليل بونيه» وهي الشركة الإسرائيلية الأولى التي تتعاطى أعمال البناء، وقد تمكنت من إنجاز مشاريع إنمائية عديدة في نيجيريا وساحل العاج والكاميرون وكينيا.
- في مجال مكاتب الدراسات طورت شركة «تلمال» للاستثمارات الهندسية نشاطاتها في أفريقيا حيث تملك مكاتب تمثيل في نيجيريا وغانا وليبيريا والكاميرون، وهي تعمل في مشاريع الري وبناء الطرق والمرافئ النهرية وإصلاح المدن.
- يقوم قطاع النقل البري وإتحاد النقابات «الهستدروت» والإتحاد البحري الإسرائيلي بدور بارز في تعزيز استمرار عملية الاختراق. وعلى هذا الصعيد أنشأت السلطات الإسرائيلية شعبة تعنى بمسائل التعاون الدولي الذي أطلق عليها «ماشافا»، ومهمتهما وضع الأفكار والخطط وتنفيذ مهمات التعاون المدني .

فعلى سبيل المثال لا الحصر، شيدت إسرائيل بموافقة أثيوبيا قاعدتين عسكريتين قرب الحدود بين إريتريا والسودان، واستغلت إريتريا اقتصادياً عن طريق شركاتها «إنكودي» للحوم، و»سيا» للمنتجات الزراعية، و»عميران» للتجارة، و»سوليل بونيه» للبناء والأشغال العامة، و»آتا» المحدودة للمشروعات الزراعية، وشركة «إخوان آرون» للواردات والصادرات. [36]

وتغلغلت إسرائيل أيضاً في حقل الخدمات ومقاولات البناء والفنادق وفي مجال البنوك والمال، حيث تلقت الأمانة العامة للجامعة العربية منذ عام 1992 تقريراً سرياً يفيد بأن التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا بدأ عبر عدة طرق:

1. المؤسسة التي تجند الفنيين والتقنيين وإرسالهم إلى الدول الأفريقية.
2. المؤسسة التي تزود الشركات الإسرائيلية بكافة المعلومات عن الدول الأفريقية .
3. المؤسسة التي تعمل على تعزيز وتقوية العلاقات والروابط بين إسرائيل والدول الأفريقية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وليس فقط مع

الحكومات بل أيضاً مع المنظمات الشعبية والأحزاب السياسية. (37)

أما أبرز المراكز التدريبية الخاصة بإسرائيل في داخل أفريقيا، فهي: (38)

4. مركز دراسة الاستيطان الذي يوفر تدريبات في البحوث الزراعية والتخطيط الإقليمي .
5. المركز الزراعي الذي يوفر الخبراء والمساعدة الفنية لتعظيم استخدام الموارد المتاحة .
6. قسم التدريب الأجنبي المختص بقضايا التنمية الريفية.
7. المعهد الأفرو-آسيوي التابع للهستدروت والمختص بأنشطة الاتحادات العمالية.
8. مركز التعاون الدولي لإقامة مشروعات زراعية ومحاربة التصحر .
9. مركز دراسة المياه الجوفية، ومركز فولكاني لتعليم أسس ووسائل الري الحديث .

إجمالاً، لقد ثبت أن الجانب الاقتصادي في التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا يمثل حجر الزاوية في العلاقات الأفرو-إسرائيلية بما يهدد بالضرورة الأمن القومي العربي، الأمر الذي يتطلب من الجانب العربي العمل على توثيق العلاقات العربية- الأفريقية سواء من خلال العلاقات الثنائية أو جامعة الدول العربية أو منظمة الوحدة الأفريقية.

2. الأداة العسكرية:

تقدم إسرائيل المعونة العسكرية لعدد من أنظمة الحكم الأفريقية، سواء على صعيد توفير السلاح أوالتدريب العسكري، وتفيد الخبرة التاريخية أن دولة إسرائيل تتعامل مع الأشخاص من الأفارقة وذوى النفوذ، أو الذين لهم مستقبل سياسي فاعل في بلدانهم، ولعل حالة الرئيس الكونغولي «موبوتو» تطرح نموذجاً واضحاً على ذلك، حيث تلقى تدريباً عسكرياً في إسرائيل، قبل أن يصبح رئيساً للكونغو بعد ذلك.

وطبقاً لتقارير الأمم المتحدة فان هناك تغلغلاً لشركات إسرائيلية، ولتجار إسرائيليين في التجارة غير المشروعة في السلاح، حيث يتم عقد صفقات لشراء الأسلحة مما يساهم في استمرار واقع الصراعات والحروب الأهلية في الدول الأفريقية الغنية بالماس، وهو يعود بالنفع المادي لهذه الشركات. (39)

واهتمت إسرائيل بالاتصال العسكري مع زائير، حيث وقعت معها اتفاقيات عسكرية تشمل الإمدادات والتدريبات العسكرية والأمنية، أما تشاد فقد حصلت على أسلحة عبر زائير بتمويل إسرائيلي، كما تم عقد اتفاقية تعاون في المجال العسكري مع أريتريا عام (1992) شملت مساعدة القوات الأريترية على احتلالهما جزيرتي «حنيش الكبرى والصغرى» و تدعيم قواتها لاستمرار هذه الجزر ولتوفير الهيمنة الإسرائيلية على الملاحة عبر مضيق باب المندب الاستراتيجي. (40)

فالتغلغل الإسرائيلي العسكري في ارتيريا منذ نهاية التسعينات ازداد حيث وصل ما بين (600 -800)مستشار إسرائيلي متخصص لتدريب الجيش الارتيري، وخصوصاً أن العلاقات اتسعت في عهد الرئيس «آسياسى أفورقي» الذي زار إسرائيل عدة مرات واشترى منها طائرات كفير ودبابات ميركافا ورشاشات عوزى. (41) فضلاً عن قيام إسرائيل بتدريب (40) جندياً ارتيرياً في بعثة تدريبية لدى القوات البحرية الإسرائيلية، ومشاركة (350) إسرائيلياً من اليهود الفلاشا في صيانة وتامين المنشآت العسكرية في ارتيريا. وبناءً على طلب ارتيريا قامت إسرائيل بإبقاء مجموعة من (200) عسكري كمستشارين في سلاحي الجو والبحر ، وعناصر من المخابرات لحماية الوجود العسكري الارتيري في ميناء مصوع على البحر الأحمر. (42)

بينما تشير مصادر أخرى إلى أن عدد المستشارين

الأمنيين الإسرائيليين في نفس الميناء المذكور حوالى (650)مستشاراً. (43)

وامتد النفوذ العسكري الإسرائيلي في كل من إثيوبيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا وجنوب السودان وتم دعم حركة التحرر عن طريق إرسال مدربين إسرائيليين هناك ، واستقبال عناصر من جيش تحرير جنوب السودان للتدريب في إسرائيل ، فضلاً عن توفير الأسلحة والمعدات والذخائر والقاذفات المضادة للدروع وأجهزة الاتصال والطوافات الحربية .

كما قامت إسرائيل ببيع سلاح سوفيتي الصنع لأثيوبيا عام (1983) كانت قد سيطرت عليه من منظمة التحرير خلال حرب عام (1982) في لبنان. (44)

تأسيساً على ما تقدم، فإن الحسابات العسكرية لدى الإسرائيليين تبقي لها الأولوية في العلاقات الأفرو– إسرائيلية بحيث يعد التعاون العسكري وعمليات التسلح التي تقدمه إسرائيل للدول الأفريقية بمثابة حجر الزاوية في بنيان العلاقات المشتركة، وتتحرك إسرائيل في هذا المجال بصورة غير رسمية عن طريق شركة خدمات أمنية هي «ليف – دان» التابعة للموساد المتخصصة في مجالات التدريب والحماية الأمنية، الأمر الذي يستدعي التسليح والصيانة الحربية وخدمات المساندة والحماية كما أن نظم الاتصال والمراقبة الأمنية في المطارات والمباني الحكومية باتت إسرائيلية أيضاً، للحد الذي قدرت فيه مبيعات الأسلحة الإسرائيلية إلى الدول الأفريقية بحوالي مليار دولار سنوياً على الأقل منذ مطلع التسعينيات. (45) بينما وصلت إلى ما يقارب (4)مليار دولار في عام (2004). (46)

3. الأداة الأمنية :

تعتمد الدولة على العمل و التخطيط السري والتنفيذ غير المعلن بغية تحقيق أهدافها، وترتكز الدولة من خلال هذه الأداة على جهاز الاستخبارات وإدارة شؤون التجسس، وخصوصاً في الوقت الحالي نظراً للتقدم الهائل الذي يشهده العالم في مجال الاتصالات وطرق تداول المعلومات والنظم. وتعد إسرائيل من أكثر دول العالم امتلاكاً لجهاز استخبارات– قوي ومتماسك– على الصعيد الخارجي، ومنها على صعيد القارة الأفريقية، فمنذ عام (1997) أفادت تقارير غربية أن أكثر من ألفي خبير أمنى إسرائيلي ينشطون بشكل رسمي في 12دولة افريقية بصفة مستشارين لرؤساء هذه الدول وكخبراء للشؤون الأمنية. (47)

إن إسرائيل تؤدي دور المساعد (الوكيل) لواشنطن في التنافس الفرنسي– الأمريكي في القارة الأفريقية، وكان نتيجة ذلك الدور تراجع النفوذ الفرنسي في كل من رواندا والكونغو الديموقراطى، وتعاظم النفوذ الأمريكي وذلك بدعم من الخبرات الإسرائيلية في صورة مرتزقة يعملون كخبراء عسكريين في مجالات التدريب والتسلح، وتجنيد العملاء من الأفارقة. وعلى هذا الصعيد تجدر الإشارة إلى تهريب السلاح الإسرائيلي لقبائل «الهوتو» على الرغم من الحظر الدولي عام (1994) وذلك لمواجهة قبائل التوتسي التي تدّعى إسرائيل أن مصر كانت تدعمها في زائير. (48)

وقدمت إسرائيل الأسلحة للفرق المتناحرة على شكل منح ومقابل امتيازات للسيطرة على مناجم الماس والذهب، ومنح تسهيلات للموساد على أراضيها، وشراء اليورانيوم، و الشيء اللافت للانتباه ، أن إسرائيل كانت تقدم الأسلحة للجيشين الأثيوبي والاريتري (الخصمين) حتى لا تخسر حليفيها خلال الحرب التي دارت بينهما عام (1998).

وفي هذا الصدد، قال أوري لوبراني: «لا بد من رصد وملاحظة كل ما يجري في السودان، ذلك القطار الذي يشكل عمقاً استراتيجياً لمصر، بالإضافة إلى

سواحله المترامية على البحر الأحمر، مما يشكل له موقعاً استراتيجياً وهذا يتطلب منا خلق ركائز إما حول السودان أو داخله، وضرورة إيجاد مقومات لتقديم الدعم إلى حركات التمرد والانفصاليين في جنوب السودان». [49]

بينما اعترف العميد «موشى فرجى» بأنّ إسرائيل قدمت دعماً كبيراً للحركة، وأكد أيضاً أن إسرائيل اختارت قبيلة «الدنكا» الكبيرة بعد دراسة من ضباط الموساد في أوغندا، وركّزت على تقديم المساعدات وتأجيج الخلافات بين القبائل الجنوبية من جانب، وعدم هدوء الحرب بين الجنوبيين والشماليين من جانب آخر، وقد دربت جنوبيين خلال الثمانينيات من القرن الماضي ووفرت لهم صوراً لمواقع الشماليين لدرجة أن مشاركة الإسرائيليين أدت إلى احتلال الجنوبيين لمدن الجنوب عام 1990. [50] وتتباهى إسرائيل أن العديد من ضباط مخابراتها الذين صالوا وجالوا في أفريقيا تحت غطاء رجال أعمال، أو تجار سلاح أو الماس، وفي مقدمتهم «حازى بتسلال» الذى يلقب في إسرائيل «بملك أفريقيا».

4. الأداة الثقافية:

تستخدم إسرائيل أساليب متنوعة في سبيل التغلغل داخل القارة من ضمنها أكذوبة « التاريخ المشترك « لاستقطاب التعاطف الأفريقي، فالإسرائيليون يحاولون أن يقنعوا الأفارقة أن كلاً من مجتمعهما – الأفريقي والإسرائيلي – قد عانيا من الاضطهاد التاريخي، فاليهود عانوا من الاضطهاد إبان الحرب العالمية الثانية على يد هتلر وتعرضوا لوسائل القمع كافةً، وبالمثل تعرضت شعوب أفريقيا لسياسات عنصرية ومراحل قهر واستعمار ونهب للثورات، ولذلك تسعى إسرائيل إلى اجتذاب الدول الأفريقية إليها من خلال إبراز العوامل والقواعد المشتركة. [51]

فعلى سبيل المثال، لعب الإسرائيليون على الوتر التاريخي لتعزيز علاقاتهم بإثيوبيا ، من خلال الزعم بأن العلاقات الإسرائيلية – الإثيوبية ترجع إلى عصر ملكة سبأ «بلقيس» التي جاءت إلى النبي سليمان (عليه السلام) إلى القدس، وبعد زواجهما ولدت «مينيلك» الذي هو احد أجداد الإمبراطور هيلاسيلاسى، وتحاول إسرائيل تدعيم ذلك الزيف التاريخى بمقولة الإمبراطور «هيلاسيلاسى الأول» الذي اعتبر نفسه «أسد يهودا» وخصوصاً انه لجأ ومجموعة من الأثيوبيين عام (1936) إلى القدس بعدما قامت ايطاليا بغزو إثيوبيا. [52]

ولعبت إسرائيل على الوتر الديني، حيث ركزّ الإسرائيليون في علاقاتهم الوطيدة مع إثيوبيا على أنها جزيرة مسيحية وسط بحر إسلامي، وان كلا البلدين مهدد بالقدر نفسه من المسلمين ، كما لعبت إسرائيل دوراً بارزاً في النشاطات الانفصالية في جنوب السودان منذ الستينيات من القرن الماضي.

وفي السياق نفسه ، تحاول إسرائيل دوماً – مستغلة تقدمها العلمي والتكنولوجي – لتغيير وتشويه الصورة النمطية لدى الشعوب الأفريقية عن العرب والمسلمين ، حيث نجحت في ذلك إلى حد كبير نظراً لتراجع الدور العربي في القارة الأفريقية، هذا إلى جانب قدرتها على استجلاب وفود من النخب والمثقفين والسياح الأفارقة إلى إسرائيل وإعطائهم ندوات وورش عمل ورحلات سياحية، وإلحاقهم في الجامعات الإسرائيلية.

المحور الرابع: تقييم عام لسياسة إسرائيل في أفريقيا

من الواضح ، أن تقييم أية سياسة خارجية لدولة ما – بالإيجاب أو السلب – يرتبط ارتباطاً شرطياً بمدى قدرة هذه الدولة على تسخير إمكاناتها الداخلية – سياسياً و اقتصادياً وتقنياً و عسكريا، فضلاً عن

استثمار المناخين الإقليمي و الدولي . لذا، فان النتائج التي أحرزتها السياسة الإسرائيلية في أفريقيا جاءت في سياق نجاح تحركها في ظل بيئة إسرائيلية داخلية مواتية ، ومناخ إقليمي و دولي مناسب وتحديداً بعد مرحلة الحرب الباردة، وانتهاء حالة الاستقطاب الدولي، وبروز الولايات المتحدة كقوة كونية مهيمنة. لذا فإن النجاح الإسرائيلي في اختراق أفريقيا منذ انتهاء مرحلة الحرب الباردة اقترن بتراجع الأداء والنشاط العربي فيها ، فبعدما أقر برنامج عمل للتعاون العربي – الأفريقي عام (1973) على اثر قمة الجزائر، وما تلا ذلك من قيام الدول العربية النفطية بدعم اقتصاديات الدول الأفريقية، وإنشاء صناديق ومصارف اقتصادية وفنية لدعم التعاون بين الجانبين، إلا أن الخلافات بين الطرفين حول رؤية كل منهما لأبعاد ذلك التعاون أدى إلى وقف الحوار عام (1977)، حيث شعر العرب بأن بعض الدول الأفريقية تنظر إلى الحوار كوسيلة للحصول على الدعم المالي، وبالتالي استغلت إسرائيل حالة التراجع لمصلحتها معتمدة على وسائلها للتغلغل في أفريقيا وأهمها المساعدات الاقتصادية والفنية والعسكرية. [53]

أما المتغيرات والعوامل السياسية في المنطقة والاتفاقيات السلمية التي وقعتها إسرائيل مع كل من مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن، وفتح مكاتب تجارية لإسرائيل في قطر والمغرب فقد أثرت بشكل مباشر وقوى على مواقف الدول الأفريقية بحيث سقطت مبررات المقاطعة، حيث نجحت إسرائيل قي استعادة علاقاتها مع 44 دولة أفريقية على مستويات دبلوماسية مختلفة، كما تمكنت من حشد التأييد اللازم للإلغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر عام 1975 بشأن تشبيه الصهيونية بالعنصرية. [54] كذلك الدور الأمريكي الداعم لجهود إسرائيل ، والذي اتخذ عدة أشكال، بدءاً بالتغطية المالية لهذا التحرك وصولاً إلى ممارسة كافة أنواع الضغوط على الدول الأفريقية لاستئناف علاقاتها مع إسرائيل ، وربط تقديم المساعدات الاقتصادية بشروط الانفتاح والتجاوب مع المبادرات الإسرائيلية ، فضلاً عن الاستخدام من قبل إسرائيل لنغمة حقوق الإنسان التي أطلقتها الولايات المتحدة ، فالأنظمة الدكتاتورية في أفريقية، و التي لم يكن في وسع الأمريكان دعمها لأسباب يصفونها بأنها – أخلاقية – كانت تتولى إسرائيل دعمها بالوكالة .

وتمتلك إسرائيل واليهود عبر العالم أداة إعلامية متقدمة، فقد سخرت ذلك لخدمة أهدافها، ولهذا نجح الإعلام الإسرائيلي في تجديد الصورة السلبية للعرب لدى عموم الأفارقة عن طريق تعميم الصورة السلبية لبعض قطاعات الأقليات العربية وخاصة اللبنانية والسورية والناتجة عن ارتباط بعض هذه القطاعات بالنخب الحاكمة الأفريقية من جهة، وممارستها لسلوكيات اقتصادية انتهازية من جهة أخرى، مما جعلها مكروهة ومنبوذة لدى الرأي العام الأفريقي . كما دعمت وسائل الإعلام الإسرائيلية هذه الصورة السلبية للعرب بصورة سلبية أخرى هي صورة العربي مالك النفط والعوائد النفطية – التي لا يتم استثمارها لدعم الأفارقة. فضلاً عن قيام إسرائيل بشن حرب إعلامية وتحريضية ضد مصر والسودان والجاليات العربية المهاجرة إلى الدول الأفريقية ، حيث أكدت وزارة الخارجية المصرية في عام (2004) عن وجود مؤامرة إسرائيلية ضد مصر في النزاع الدائر في منطقة البحيرات العظمى؛ وذلك بهدف ضرب الأمن المائي المصري.

ولقد انطلقت الإستراتيجية في هذا الشأن من الاعتبارات التالية: [55]

- تأثير منطقة حوض النيل على الأمن القومي العربي من خلال تهديد منابع نهر النيل وارتباط

ذلك بالسياسات والتوجهات المصرية والسودانية.

- الأهمية الإستراتيجية لكل من ارتيريا وإثيوبيا في التحكم بالمدخل الجنوبي للبحر الأحمر، لارتباطه بعلاقة مباشرة بالإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية الرامية إلى منع تكرار محاصرتها بحرياً مثلما حصل سابقاً عندما أغلق العرب عليها مضيق باب المندب .

- قيام إسرائيل بدور المساعد لصالح واشنطن في التنافس الأمريكي – الفرنسي في القارة ، بحيث تحّول النفوذ الفرنسي في كل من رواندا والكونغو الديموقراطى إلى نفوذ أمريكي. (56)

- الاستفادة الاقتصادية من دول تلك المنطقة المحاذية للاستثمارات الغربية، بمعنى آخر نجحت إسرائيل في استخدام سياستها التجارية؛ لتسويق المواد الخام والمنتجات الزراعية لهذه الدول، في أوروبا.

وتنطلق الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه حوض النيل بناءً على ثلاثة محاور، هي:

1. ربط أنظمة هذه الدول بالخبرات العسكرية الإسرائيلية سواء على صعيد الكوادر أو على صعيد الأنظمة الدفاعية والتسليحية، حيث نجحت إسرائيل في التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول ودعم ميليشياتها المسلحة المتصارعة على الحكم .

2. تمكنت إسرائيل من تحريض دول منابع النيل للمطالبة بنصيب أكبر من مياهه، واستخدام ذلك كأسلوب عدائي ضد مصر، وخصوصاً في ما يتعلق بمشروعات التنمية الزراعية، وأهمها مشروع توشكي، وترعة السلام، ومحاولة فرض أفكار تسعير المياه وبيعها وإنشاء سوق دولية لها على غرار ما يحصل بالنسبة للمياه التركية مما يشكل تحدياً حقيقياً للأمن المائي المصري والسوداني . ومن الجدير ذكره، أن هذه الخطوات قامت بها إسرائيل في عهد «حكومة نتنياهو» عندما أوصت وزارة الخارجية الإسرائيلية بتنفيذ برنامج معاقبة مصر، والضغط على دول حوض النيل لطرح موضوع الحصص المائية على مائدة للتفاوض. (57)

3. تمكنت إسرائيل من ممارسة سياسة (اللعبة المزدوجة) في التعامل لما يضمن مصالحها بالدرجة الأولى، فعلى سبيل المثال رأت إسرائيل دخول ارتيريا جامعة الدول العربية أنّ البحر الأحمر أصبح بحيرة عربية، لذلك سعت لإيجاد مواطئ أقدام لها في مضيق باب المندب بالاعتماد على إستراتيجية متداخلة الأهداف من أبرز ملامحها:

– تدعيم قواتها المسلحة وزيادة وتكثيف الاستيطان في النقب وشمال ميناء إيلات.

– تعزيز علاقاتها مع الدول الأفريقية الواقعة على البحر الأحمر، وفي هذا الإطار قامت بإمداد كل من أثيوبيا وكينيا بالسلاح والخبرات والمعدات الزراعية مقابل السماح لها باستخدام الموانئ وإقامة قواعد عسكرية ونقاط مراقبة من أجل ذلك.

– استغلال الصراعات الإثنية في منطقة القرن الأفريقي. لذا ركز الإسرائيليون على دعم الحركة الانفصالية في جنوب السودان فيما عرف باسم حركة «أنانيا». (58)

– فتحت إسرائيل في عام 1993 سفارة لها في أسمرة، قبل الإعلان الرسمي لاستقلال اريتريا، والتي تتميز بوجود 360 جزيرة فيها، وقام رئيسها «أسياسي أفورقي» بزيارة إسرائيل عام 1996، وتوقيع اتفاقية لتعزيز التعاون الأمني والعسكري بين البلدين تضمنت إقامة ستة قواعد عسكرية إسرائيلية، واستخدمت كقاعدة تجسس للموساد على اليمن والسعودية والسودان. (59)

لقد امتد النفوذ العسكري الإسرائيلي إلى كل من إثيوبيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا وجنوب السودان، حيث تتعاون السلطات العسكرية الإسرائيلية مع حركة التمرد في جنوب السودان عبر إرسال

مدربين إسرائيليين، واستقبال آخرين من الحركة في إسرائيل ، مع توفير الأسلحة والمعدات والذخائر والقاذفات المضادة للدروع وأجهزة الاتصال وطائرات الهليوكابتر بهدف الوصول إلى منابع النيل الاستوائية واستكمال حزام التطويق الإسرائيلي الجنوبي لمنابع النيل مما يشكل تهديداً امنياً واستراتيجياً لكل من مصر والسودان، ويمتد هذا الحزام ليشمل زائير وتشاد وشمال أفريقيا لتكتمل حلقة الاتصال الدائرية الممتدة من البحر الأحمر ومنابع النيل حتى الوجود العسكري في دول جنوب الصحراء. بمعنى آخر تُنفِّذ إسرائيل حرب باردة ضد العرب في أحواض الأنهار الكبرى وتمارس التحريض الدائم والمستمر لدول الجوار الجغرافي المشاركة في أحواض الأنهار؛ لإشعارها بالظلم الناتج عن الاستخدام العربي المسرف للموارد المائية. وفي ذلك تستخدم إسرائيل مساعداتها المباشرة أو المساعدات الأمريكية (كأداة ابتزاز) لبعض دول أحواض الأنهار لتامين سيطرتها على بلدان افريقية تقع في حوض النيل مثل زائير وكينيا ورواندا ، ولعل هذا يفسر سبب سيطرة الشركات الأمريكية والغربية والإسرائيلية على جملة مشاريع الري في هذه البلدان. [60]

ومن العوامل المساعدة في زيادة النفوذ الإسرائيلي في أفريقيا ، هو غياب إستراتيجية تنسيق عربية تجاه أفريقيا، وبالتالي فإنّ إسرائيل تستثمر حالة غياب العلاقة القوية والشراكة الحقيقية بين العالمين العربي والأفريقي .

إن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالقارة الأفريقية بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفييتي، حيث تغيرت الأهداف الأمريكية من سياسة احتواء إلى سياسة تفاعل وتغلغل في القارة الأفريقية، وقد جسدت زيارة الرئيس «بيل كلنتون» لست دول افريقية هي: (غانا، أوغندا، جيبوتي، جنوب أفريقيا، بتسوانا،والسنغال)، وذلك صيف (1998) التوجهات الأمريكية الجديدة، وهذا بالفعل يساهم بدرجة كبيرة في مساعدة إسرائيل بالتغلغل داخل القارة نظراً لنفوذها داخل مؤسسات صنع السياسة الخارجية الأمريكية ، وقدرتها على صياغة وتوجيه هذه السياسة.

عموماً، لابد من الإشارة إلى أن العلاقات الأفرو– إسرائيلية مرهونة بمدى صحوة العالم العربي تجاه القارة ، فإذا لم تتحرك الدول العربية في وضع إستراتيجية منسقة وواضحة الأهداف والمعالم، فلن تتوانى الدول الأفريقية في قبول العروض الإسرائيلية، فالأمر يتطلب من الجانب العربي العمل على توثيق العلاقات العربية – الأفريقية سواء من خلال العلاقات الثنائية أو جامعة الدول العربية أو منظمة الوحدة الأفريقية.

وعلى هذا الأساس، يمكن فهم أسباب قيام مصر عام (1992) ببلورة رؤية تجاه أفريقيا تنطلق من ضرورة تحقيق الاستقرار السياسي والأمني، وهذا الأمر كان واضحاً في خطاب الرئيس مبارك أمام القمة الـ (30) لمنظمة الوحدة الأفريقية التي عقدت في تونس عام (1994)، واستضافة مصر لمؤتمر البحيرات العظمى الذي عقد في القاهرة عام (1995)، ودورها في الوساطة لحل الأزمة الصومالية في أواخر عام (1997). فضلاً عن دورها في إرسال قوات ومراقبين عسكريين في عمليات حفظ السلام في «سيراليون» و»الكونغو الديمقراطية» وأفريقيا الوسطى. [61]، بالإضافة إلى اهتماماتها في تنفيذ معاهدة الجماعة الاقتصادية الأفريقية التي تم التوقيع عليها خلال قمة «أبوجا» عام (1991).

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي تمحورت حول السياسة الإسرائيلية تجاه أفريقيا (جنوب الصحراء)، يمكن لنا أن نصل إلى تقييم عام لها، وذلك استناداً

إلى المعطيات المتاحة والأحداث والتطورات المتعلقة بإسرائيل والقارة الأفريقية، كذلك اثر التحولات في المناخ الدولي والإقليمي مع نهاية الحرب الباردة فضلاً عن تعاظم أهمية القارة الأفريقية في الإستراتيجية الإسرائيلية– حالياً ومستقبلاً– أما التقييم العام للدراسة فيكمن فيما يلي :

- أثّر ازدياد النفوذ الإسرائيلي في القارة الأفريقية ونجاحه اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وامنياً على الأمن القومي العربي عامة والسوداني والمصري على وجه الخصوص .
- أضاف النجاح الإسرائيلي في أفريقيا منافساً جديداً بجانب القوى الكبرى المنافسة في الساحة الأفريقية .
- أصبحت إسرائيل تضاهى النفوذ الفرنسي، خاصة في ظل غياب أي دور عربي فاعل، حيث استندت في رسم وتنفيذ إستراتيجيتها الأفريقية على الولايات المتحدة الأمريكية.
- إن نفوذ إسرائيل الخارجي هو انعكاس لقدراتها الداخلية، ولذلك فإنّ أي تقهقر داخلي قد يدفع هذه المكاسب الخارجية نحو التراجع. وهذا ما يجب التركيز عليه في إطار الصراع العربي الإسرائيلي.

الهوامش

(1) خلاف، هاني تميم، العلاقات الأفرو– إسرائيلية بين الأهداف والمصالح، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ع 144،2001،(201).

(2) Bard ، Mitchell b ، The evolution of Israels Africa policy ،2008،p.51

3)معلوم ، حسن ، الإستراتيجية الإسرائيلية في أفريقيا ، مجلة الوحدة ،مراكش، ع97 ،1992، (45-56) .

(4) Kwarteng ، Charles ، 1992- The Arabs ، Israel and Black Africa :the Politics of Courtship ، Round Table ، no ، 322 ،1992، pp 167 -182

(5) خلاف ، هاني تميم ، العلاقات الأفرو – إسرائيلية بين الأهداف والمصالح ، مرجع سابق، ص200.

(6) Kwarteng ، op.cit ، pp 187 -82.

(7) معلوم ، حسن ،1992 – الإستراتيجية الإسرائيلية في أفريقيا ،مرجع سابق ص56 .

(8) العاصي ، حسن ، الاختراق الإسرائيلي للقارة السوداء . 2004/3/23

(9) http://ahewar.org
Oded ، Arye ، Africa and the Middle East Conflict ، Boulder ، lynne Rienner ،1987، p 68

(10) خلاف، مرجع سابق، ص 200.

(11) معلوم ، مرجع سابق، ص215 .

(12) Ankoma ، Baffour ، let us Recognize Israel-New Africa ، October ،1988، p16

(13) خلاف ، مرجع سابق،ص201.

(14) عبد الرحمن ، حمدي ، سياسات التنافس الدولي في أفريقيا ، مجلة قراءات أفريقية،ع2 ،2005.
http://www.abayan-maga2ine.com

(15) عزام ، صباح ، الغزو الإسرائيلي للقارة الأفريقية – مجلة المناضل ،ع 349، 2007.
mhtm:file://c:/Documentsand settings

(16) خلاف ، مرجع سابق،ص 201

(17) عزام ، صباح ، الغزو الإسرائيلي للقارة الأفريقية ، مرجع سابق.
mhtm:file://c:/Documentsand settings

(18) صحيفة الاستقلال، إسرائيل تخترق أفريقيا- قراءة في التقرير الاستراتيجي الأفريقي، 2009/5/12، ص13.

(19) http://www.mfa.gov.

il/MFAHeb/Spokesman/2007/Africa+D+- +IsraelAfric+relationa+280 507.htm،2206،2008

(20) ربيع، محمد عبد العزيز، إسرائيل والقارة الأفريقية : الأبعاد والمخاطر، بيروت، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي، بيروت، 1981، ص35.

(21) صحيفة الديار ، 1997/11/12، ص7.

(22) رأفت، إجلال، السياسة الفرنسية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة السياسة الدولية، ع 145،(23-8).

(23) حسن ، خالد زكريا، إسرائيل والقارة السوداء، مجلة الدفاع ، 2003.
http://www.abayan-magazine.com

(24) مسلم ، طلعت ، السياسة الأمنية لإسرائيل وجنوب أفريقيا ، مجلة السياسة الدولية، ع93،1989، (247-243) .

(25) غانم، يحيى، هراري...أجمون... مفارز إسرائيل في قارة أفريقيا، صحيفة الاهرام، 2002/5/9، ص33.

(26) الرشيدي، حامد، السودان... نموذج للشرق الاوسط الامريكي:
http://www.almoslim.net/mode/8522.2003

(27) حمدي،عبد الرحمن ، سياسات التنافس الدولي في أفريقيا ، مرجع سابق.

(28) ربيع ، إسرائيل والقارة الأفريقية ، مرجع سابق،ص 35 .

(29) العاصي ، حسن ، الاختراق الإسرائيلي للقارة السوداء ، مرجع سابق.

(30) معلوم ، مرجع سابق، ص56 .

(31) Kwarteng، Charles، 1992- The Arabs، Israel and Black (Africa):the Politics of Courtship، Round Table، no، 322، pp 167 -82 .

(32) نصار ، عصام ، يهود العالم : في كتاب دليل إسرائيل ، تحرير كميل منصور ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، (678).

(33) مهنا ، محمد نصر ،-1996 ديناميات تحديات الأمن القومي العربي : الثوابت والمتغيرات – مجلة دراسات مستقبلية ، أسيوط، ع1 ،1996، (61-99).

(34) عبد الرحمن ، حمدي ، إسرائيل وأفريقيا في عالم متغير،2008.
http //abayan_magazine.com/file . -africa/1.htm

(35)العاصي،مرجع سابق.
http://ahewar.org

(36) رجب ، مصطفي ، التقارب الإسرائيلي – الأفريقي وأثره على الأمن القومي العربي، 2008/4/28
mtml:file://c/Documents and settings ibraheem/28/4/2008

(37) صحيفة الاتحاد اللبنانية،1997/11/12، ص3.

(38) حمدي ، إسرائيل وأفريقيا في عالم متغير،2008، مرجع سابق.

(39) المرجع السابق.

(40) صحيفة الديار، 1997/11/12، ص7.

(41) صحيفة الكفاح العربي،2000/3/31، ص4.

(42) صحيفة الكفاح العربي،1997/4/9، ص5.

(43) عزام ، صباح ، الغزو الإسرائيلي للقارة الأفريقية ، مرجع سابق.

(44) Bard،op.cit،p.6.

(45) صحيفة المجلة ،1994/5/30.

(46) عزام، مرجع سابق.

(47) صحيفة الاتحاد اللبنانية ،1997/11/12.

(48) رأفت ، إجلال ، السياسة الفرنسية في أفريقيا جنوب الصحراء ، مرجع سابق، ص 20.

(49) فرجي، موشي، إسرائيل وحركة تحرير السودان: نقطة البداية ومرحلة الانطلاق، تعريب، الدار العربية للدراسات والنشر، القاهرة 2003، ص 251.

(50) المرجع السابق نفسه.

(51) خلاف، مرجع سابق، ص 202.

(52) Rapoport ، Louis، The lost Jews، stein and Day ،No4،1980، 192

(53) جالو، ادريس، التغلغل الاسرائيلي في أفريقيا. 2007/1/22:

http/www.meshkat.net/new/contents.php?catid6&artid=7559،26.8.2008.

(54) أبو العنين، محمد، آخرون، التقرير الاستراتيجي الأفريقي 2002-2001، الإصدار الأول، مركز البحوث الأفريقية، القاهرة، 2002، ص ص (399-350)

(55) نادية، سعد الدين، التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في شرق أفريقيا وانعكاسه على الأمن القومي العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 292، 2003، ص ص (56-33).

(56) رأفت، مرجع سابق، ص 20.

(57) عزام، مرجع سابق.

(58) عبد الله، زياد، أمن البحر الأحمر والأمن القومي العربي، مجلة شؤون عربية، ع 88، 1996، ص (170-155)

(59) عبد القوي، سامي، نظام أسياسي أفورقي وتطور العلاقة مع إسرائيل، ملف الأهرام الاستراتيجي، ع 138،206، ص ص (72-71).

(60) مهنا، ديناميات تحديات الأمن القومي العربي، مرجع سابق، ص 55

(61) شافعي، بدر، سياسة مصر الخارجية تجاه أفريقيا والأحادية القطبية، مجلة السياسة الدولية، ع 139، يناير 200، ص (115).

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

1. أبو العنين، محمد، آخرون، التقرير الاستراتيجي الأفريقي 2002-2001، الإصدار الأول، مركز البحوث الأفريقية، القاهرة، 2002، ص ص (-350 399)

2. خلاف، هاني تميم، العلاقات الأفرو- إسرائيلية بين الأهداف والمصالح، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ع 144،2001،(201).

3. رأفت، إجلال، السياسة الفرنسية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة السياسة الدولية، ع 145،(8-23).

4. ربيع، محمد عبد العزيز، إسرائيل والقارة الأفريقية : الأبعاد والمخاطر، بيروت، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي، بيروت، 1981، ص35.

5. شافعي، بدر، سياسة مصر الخارجية تجاه أفريقيا والأحادية القطبية، مجلة السياسة الدولية، ع 139، يناير 200، ص (115).

6. عبد الله، زياد، أمن البحر الأحمر والأمن القومي العربي، مجلة شؤون عربية، ع 88، 1996، ص (170-155)

7. عبد القوي، سامي، نظام أسياسي أفورقي وتطور العلاقة مع إسرائيل، ملف الأهرام الاستراتيجي، ع 138،206، ص ص (72-71).

8. فرجي، موشي، إسرائيل وحركة تحرير السودان: نقطة البداية ومرحلة الانطلاق، تعريب، الدار العربية للدراسات والنشر، القاهرة، 2003، ص 251.

9. مسلم، طلعت ، السياسة الأمنية لإسرائيل وجنوب أفريقيا ، مجلة السياسة الدولية ، ع93،1989، (243-247) .

10. معلوم، حسن ، الإستراتيجية الإسرائيلية في أفريقيا ، مجلة الوحدة ،مراكش، ع97 ،1992، (45-56).

11. مهنا ، محمد نصر ،-1996 ديناميات تحديات الأمن القومي العربي : الثوابت والمتغيرات – مجلة دراسات مستقبلية ، أسيوط، ع1 ،1996، (61-99).

12. نادية، سعد الدين، التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في شرق أفريقيا وانعكاسه على الأمن القومي العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 292، 2003، ص ص (56-33).

13. نصار، عصام، يهود العالم: في كتاب دليل إسرائيل، تحرير كميل منصور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003 ، (678).

ثانياً: الإنجليزية

1. Ankoma، Baffour، let us Recognize Israel-New Africa ، October ،1988، p16.

2. Bard ، Mitchell b ، The evolution of Israels Africa policy ،2008،p.51.

3. Kwarteng ، Charles ، 1992- The Arabs ، Israel and Black Africa :the Politics of Courtship ، Round Table ، no ، 322 ،1992، pp 167 -182.

4. Kwarteng ، Charles ، 1992- The Arabs ، Israel and Black (Africa) :the Politics of Courtship ، Round Table ، no ، 322 ، pp 167 -82.

5. Oded ، Arye ، Africa and the Middle East Conflict ، Boulder ، lynne Rienner ،1987، p 68.

6. Rapoport ، Louis، The lost Jews، stein and Day ،No4،1980، (192).